فهل يا ترى عجزت المرأة عن تحقيق شرط (الحب الرشيد) وبذا انتهى اعلان (مي) إلى انتكاسة مأساوية حيث راحت تصرخ بالرجل وتستغيث به ليكون أباها وأمها وعشيرتها وذاتها التي تفديه بروحها وبنفسها. ولم تفلح أبوتها لذاتها ولا كفالتها لمعاشها...

هل حبها لذاتها لم يكن رشيداً...؟

أم أن الرجل تدخل بينها وبين ذاتها فأفسد عليها هذا الحب...؟

إن دلالات العلاقة التي كانت تدور في صالون (مي) كانت تكشف عن تعلق عاطفي واضح أظهره عدد من الرجال رواد الصالون، ولكنه تعلق عشق ولم يكن تعلق محبة. ولم يكن أحد من أولئك الرجال يرغب بأن تكون (مي) زوجة له.[43]

كانوا يعشقون الجسد الغض الجميل واتخذوا أدب مي وصالونها وسيلة إلى ذلك الجسد، وتملقوا عقلها وثقافتها محاباة واستهتاراً بها، وكان الغرض والغاية غير العقل وغير الثقافة.

ولقد أدركت (مي) ذلك وفهمته بفطرتها الأنثوية الثاقبة ففرت منهم بروحها وخيالها ولجأت إلى رجل بعيد من وراء المحيطات هو جبران خليل جبران. ونادت عليه واستغاثت به ليأخذ بيدها ويمنحها الحب الذي تستحقه ذاتها ـ لا مجرد جسدها ـ ولكن جبران نفسه ـ أيضاً ـ يرد أملها ويكسر توقها فيلمح لها في إحدى رسائله أنه ليس طالب زواج[44]. وكأنها بذلك قد استجارت من الرمضاء بالرمضاء. وتنتهي من دون حب ومن دون رجل وقد فقدت ذاتها لأنها فقدت (الحب الرشيد) أو لعلها لم تصل إليه ولم تبلغ مشارف هذا الحب المثالي.

---

(43) الجندي: أدب المرأة العربية 130.

(44) السابق 130.